المنظور النفسى للطفل اليتيم

المنظور النفسى للطفل اليتيم

أ.د. جمال شفيق أحمد

مما لاشك فيه أن الأسرة تلعب دورًا مهمًا وحيويًا وأساسيًا فى حياة أطفالها، فهى الحضن الاجتماعى والنفسى الذى ينعم فيه الوليد بأولى علاقاته الإنسانية التى تنعكس فيما بعد على كل حياته المستقبلية وفى كل أشكال سلوكه، تهيئ له أنماطًا من الاتجاهات نحو الناس والحياة بصفة عامة، كما تمثل العلاقات الأسرية الطيبة داخل الأسرة، سواء بين الأب والأبناء، أو ألام والأبناء، أو الأب والأم ببعضهما، أو الأبناء ببعضهم عاملاً أساسيًا فى نمو شخصية الطفل، مما يجعل الطفل يتعلم الكثير من الخبرات التى تساعده على النمو السليم، وأيضًا يشعر الطفل بالحب والأمن والحماية والطمأنينة، ويزداد نموه ونضجه وتطوره بزيادة تفاعله مع المحيطين به. وعن طريق هذا التفاعل تأخذ شخصيته فى التبلور والاتزان، ويتمتع بالصحة النفسية والعقلية.

غير أنه نتيجة ظروف الحياة، فإن بعض الأطفال قد يتعرضون للحرمان من أحد الوالدين أو كليهما بسبب الوفاة، وعندئذٍ يحرم هؤلاء الأطفال من الرعاية الوالدية بشكل جزئى أو كلى، مما يؤثر تأثيرًا كبيرًا على شخصياتهم وسلوكـــهم ونموهم، وهذه التأثيرات

قد لا تزول أبدًا وتستمر معهم مدى الحياة، ولعل هذا الفقدان الوالدى، أو الأمى، أو الإثنين معًا يمثل بالنسبة لفئة هذه الأطفال خبرة شاقة وأليمة تنعكس بلا أدنى شك سلبيًا على صحتهم النفسية وتوافقهم النفسى والاجتماعى، ويدخلون بذلك فيما يطلق عليه فئة (الأطفال الأيتام).

تعريف الطفل اليتيم

أحيانًا ما يحدث أن يموت الأب أو الأم أو كلاهما، كما يحدث عادة فى الحروب والكوارث أو الحوادث، ويتركون من خلفهم أطفالاً صغارًا ضعافًا يجب أن يحافظ عليهم المجتمع الذى يصبح مسئولاً عنهم.

ويطلق البعض على حالة يتيم الأب فقط أو يتيم الأم فقط حالة (اليتيم المنفرد)، أما حالة يتيم الأم والأب فتعرف بحالة (اليتيم المزدوج).

وتقول العرب : (اليتيم) هو الذى يموت أبوه.

و (العجى) الذى تموت أمه.

و (اللطيم) من مات أبواه.

غير أنه يجب الإشارة إلى أنه :

- **يقال للصبى (يتيمًا) إذا فقد أباه قبل البلوغ، فهو يتيم حتى يبلغ الحلم.**
- **ويقال للمرأة يتيمة ما لم تتزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتيم.**

- والجمع أيتام أو يتامى أو يتمة.

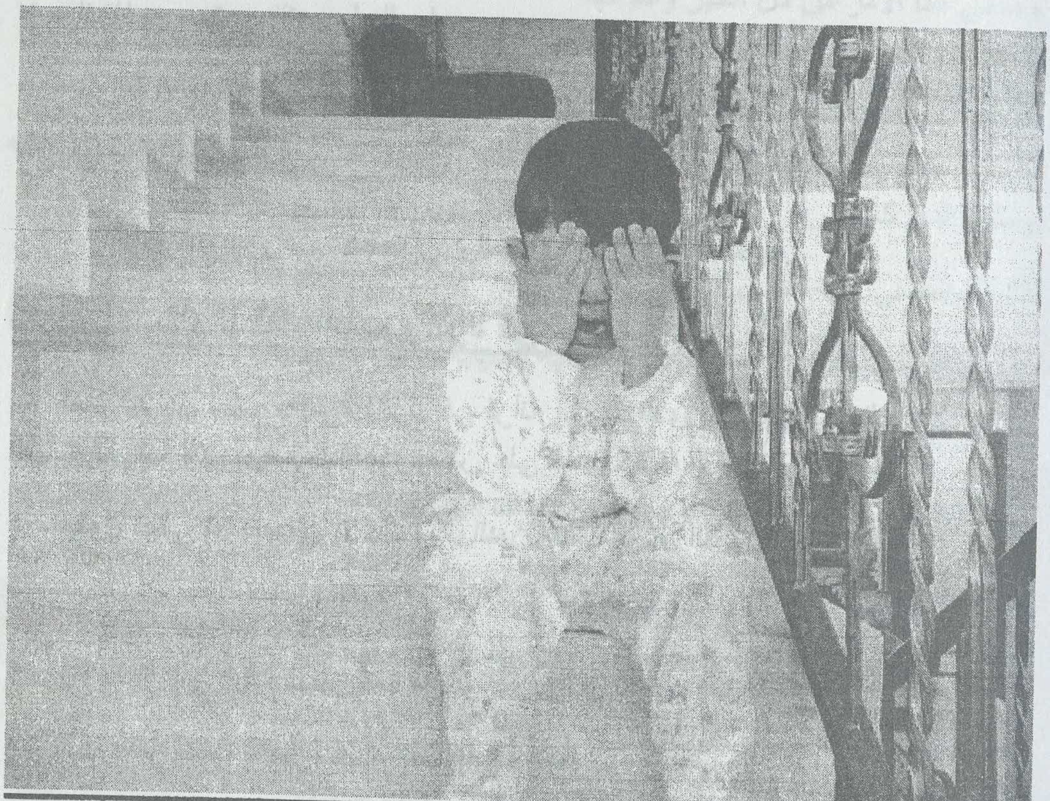

أهم الآثار النفسية الناتجة عن الحرمان من الرعاية الوالدية :

١ ـ تؤكد نتائج الدراسات النفسية على أن تعرض الأطفال فى بداية حياتهم المبكرة للحرمان من الأم أو الأب أو كليهما يؤدى إلى إصابتهم بحالات من الاكتئاب الطفلى، وإلى ضعف علاقتهم الاجتماعية مع الآخرين، وربما يصل الأمر إلى جنوح بعضهم .

٢ ـ تبين أن الحرمان من الأم أشد خطرًا من الحرمان من الأب، حيث لا يكون التأثير على الأطفال فى جوانب توافقهم وتكيفهم فقط، بل تنعكس الآثار على النمو العقلى والانفعالى والمعرفى.

٣ ـ شعور هؤلاء الأطفال المستمر بالحرمان الاجتماعى والعاطفى.

٤ ـ ارتفاع مستوى الشعور بالضغوط النفسية، وانخفاض مفهوم الذات.

٥ ـ كثرة الاستهداف للاضطرابات النفسية والسلوكية والتى من أهم مظاهرها : التبلد الانفعالى، والانسحاب، ونقص التركيز، ومص الأصابع، واضطرابات النوم، والسلوك العدوانى، وضعف الثقة بالنفس، والشعـور بالوحدة النفسية.

٦- النظرة التشاؤمية للمستقبل وفقدان الأمل فى الحياة.

٧ ـ انخفاض مستوى التحصيل الدراسى.

٨ ـ سرعة الانفعال والاستثارة وحدوث نوبات من الغضب والعناد.

٩ ـ الاتكالية والاعتمادية بدرجة عالية.

١٠ ـ الشك والخوف وعدم الاطمئنان، والصراعات النفسية الداخلية.

تكريم الإسلام للطفل اليتيم وأثره في تحقيق الأمن النفسي

اهتم الله جل علاه باليتيم، فأنزل فى قرآنه الكريم الذى يتلى إلى يوم الدين العديد من الآيات القرآنية التى توصى باليتيم وتحض على حسن كفالته ورعايته وإكرامه.

١ ـ يقول تعالى (لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى)

(البقرة :٨٣)

٢ ـ فالإحسان إلى اليتيم متعين كما هو للوالدين ولذى القربى **كما قال تعالى :**

(أرءيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم)

(الماعون :١ -٢)

فربط هنا الله سبحانه وتعالى بين التكذيب بالدين ومجرد إيذاء اليتيم، أى أنه يصل - والعياذ بالله - إلى درجة الكفر بالدين.

٣ ـ وقال تعالى أيضًا : (فأما اليتيم فلا تقهر)

(الضحى : ٩)

والأمر هنا لا تقهر اليتيم، أى أن لا تذله وتنهره، ولكن أحسن إليه وتلطف به، وكن لليتيم كالأب الرحيم.

ويقول أحد المفسرين عن تفسير هذه الآية (لا تقهره) أى تغلب على شىء، فإنما أذقناك اليتيم تأديبًا بأحسن الآداب لتعرف ضعف اليتيم وذله، وفوق ذلك كفالته، وهى خلافة عن الله لأن اليتيم لا كافل له إلا الله.

٤- وقال تعالى : (ويسألونك عن اليتامى، قل إصلاح لهم خير)

(البقرة : ٢٢)

والأمر هنا موجه لتقديم كل ما من شأنه تحسين وإصلاح كل ما يخص أحوال اليتامى، وما فى هذا الأمر من كل الخير والثواب.

أما فى السنة النبوية المطهرة :

فقد جاء بحق اليتيم الكثير من الأحاديث الشريفة عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الذى كان شرفًا ومثالاً يحتذى لليتامى، حيث ولد يتيمًا وتربى يتيمًا.

قال المصطفى عليه أفضل السلام وأعز التسليم :

(أنا وكافل اليتيم فى الجنة، وأشار بإصبعيه السبابة، والوسطى).

وقال صلى الله عليه وسلم :

(من عال يتيمًا حتى يستغنى أوجب الله له بذلك الجنة).

وقال عليه الصلاة والسلام :

(خير بيوتكم بيت فيه يتيم يُحسَن إليه، وشر بيوتكم بيت فيه يتيم يُسَاء إليه).

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام :

(من مسح رأس يتيم وكان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة).

كما قال عليه الصلاة والسلام :

(من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله، وصام نهاره، وغدا وراح شاهرًا سيفه فى سبيل الله، وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين).

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل هناك كلام بعد كلام الله سبحانه وتعالى؟ وهل هناك أيضًا كلام بعد كلام رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام؟

فى حقيقة الأمر فإن الإنسان أى إنسان حينما يجد بجانبه من البشر من يهتم به ويشعر به ويتفهم أحواله دون أن يشكو، ويوصى به ويقدره ويحترمه ويكرمه، فإنه فى مثل هذه الأحوال سوف يكون سعيدًا ومتفائلاً، يشعر بالقوة والحماية والأمن والأمان والراحة والاطمئنان.

فإذا كان كل ما سبق الإشارة إليه هو ما يخص (البشر) بكل ما يحمل هذا اللفظ، وما يرتبط به من نواحى النقص والضعف والأهواء والمصالح، فما بالنا إذن فى هذا المقام إذا كان الذى يشعر باليتيم ويهتم به ويوصى به ويأمر بكفالته وبحسن معاملته والإحسان إليه

واللطف به، ويحذر من الإساءة إليه أو إذلاله أو إهانته، ويعظم أجر كافله بدخول الجنة هو الله ورسوله.

فابشر أيها الابن اليتيم، فالله الذى خلقك يعلم سرك ويقدر أحوالك ومتاعبك ويوصى سبحانه وتعالى هو ورسوله صلى الله عليه وسلم جميع المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها وحتى تقوم الساعة بحسن معاملتك وإكرامك وإسعادك. فهنيئًا لك حب الله وهنيئًا لك حب الرسول، فعش حياتك راضيًا قانعًا بحكم الله سبحانه وتعالى، واجعل (يتم) الرسول الكريم شرفًا وتشريفًا لك، وقدوة طيبة تسير فى نورها لعل الله أن يهيئ له الخير والبركة والسعادة والأمن النفسى.